

مؤشرات الجمالية الرقمية في النص التفاعلي: تحول البنى وإبدالاتها

The Digital Aesthetic Indicators in Interactive Text: The Transformation of Structures and Their Variations

أ. د. جمال مجناح*

مخبر الشعرية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة.

djamel.medjenah@univ-msila.dz

تاريخ النشر: 2024/11/19

تاريخ القبول: 2024/07/09

تاريخ الاستلام: 2024/01/21

Abstract:

The introduction of literature into the digital and interactive realm has paved the way for formal, aesthetic, and structural transformations, driven by the dependence of text on technical and software processes that intervene in the design and composition of the image. Creative writers have embraced an interactive, experimental journey, which has led to shifts in discourse markers and aesthetic values. With digitalization, the text has evolved into a multi-layered aesthetic practice, encompassing the roles of the multiple authors, the diverse readers, and the composite nature of the text itself.

At each of these levels, the digital effects overlap—shaping intentions, dimensions, image formation, and the processes of reading and interpretation. Within these interconnected relationships and levels, the research seeks to explore the various transformations introduced by the interactive text, focusing on its impact on structure, imagination, and language. This includes an examination of changes in description, rhetorical impact, and the different types and levels of engagement with the text.

Keywords: Digital. interactivity. indicators. digital image . text

ملخص البحث:

بدخول الأدب العالم الرقمي والتفاعلي، شهد تحولات شكلية وجمالية وبنوية فرضها اعتماد النص على إجراءات تقنية وبرمجيات تدخلت في تصميم وتركيب الصورة. فاتجه المبدعون نحو مغامرة تجريبية تفاعلية تسببت في تحول مؤشرات الخطاب والقيم الجمالية . وبفعل الرقمية اتجه النص الى ممارسة جمالية متعددة المستويات بدء بمؤلف المتعدد والقارئ المختلف والنص المركب . ومن خلال هذه المستويات تتداخل المؤثرات الرقمية التي ينتجها كل مستوى ، سواء أكان في المقصديات أم في الأبعاد أو في تشكيل الصورة أو عملية القراءة والتأويل. وضمن هذه العلاقات والمستويات يتجه البحث إلى الوقوف على مختلف التحولات التي ادخلها النص التفاعلي على مستوى البنيات والتخيل واللغة من حيث وصفها وبيان أثرها وأنواعها ومستوياتها. إذ ان الممارسة التفاعلية او الرقمية أدخلت الادب عامة في بيئة تخصصات ببنية طعمت النص بمجموعة متغيرات ومؤشرات قرائية فرضتها عملية الرقمنة على النص التفاعلي وعدلت الكثير من مستوياته اللغوية بل أوجدت لها إبدالات تحاول النظرية الأدبية والنقدية تأطيرها

الكلمات المفتاحية: الرقمي . التفاعلي . الجمالية . المؤشرات . الصورة الرقمية . النص .

مقدمة:

يقترح هذا البحث مدخلا إلى قراءة شعرية النص التفاعلي وبحث مستوياته الجمالية ومؤشرات تأثيرها في النص التفاعلي. والحديث عن التفاعلية هنا يشير ضمنا الى القضايا المصطلحية على اعتبار أن الخلفية المعرفية للأدب التفاعلي تَمَيَّزَ بمنظومة اصطلاحية تتباعد وتتقارب فيما بينها بحسب المقاربة التي يريدها المبدع او القارئ من توظيف مصطلح ما.

تكمن أهمية المصطلح في الأدب الرقمي أو التفاعلي في كونه يحدد العلاقة الأساسية في العملية التفاعلية حيث أصبح لبعض الممارسات التفاعلية قيمة يمكن أن تكون مؤثرة بدرجات ومستويات متفاوتة ، وعلى سبيل المثال فإن تفاعل القراء مع النص على مستوى الشبكة سيكون نسبيا ومتفاوتا بحسب المستوى والهدف وطبيعة الملاحظة المقدمة وهذا المؤشر يوضح طبيعة القراءة التفاعلية في مواقع التواصل المفتوحة على الجمهور والتي تتحقق من خلال عدة سبل مثل توقيع النص بأيقونة الإعجاب أو بالمشاركة أو بالتعليق -وغيرها مما سنتاوله لاحقا- وهذا النوع من التفاعل قد يصدر كما أشرنا عن متخصص أو غير متخصص كما قد يكون من طرف ثالث لا علاقة له بعملية القراءة نهائيا. ورغم ذلك تدخل كل تلك الملاحظات ضمن المفهوم التفاعلي الواسع .

وطبيعة الموضوع المقترح لا تتجه لإلى مناقشة لإشكالية قراءة النص التفاعلي بقدر ما تبحث إشكالية التحولات على مستويات بنية ومؤشرات الخطاب التفاعلي وإنما تبحث في مستويات البنيات النصية في النص الرقمي وطبيعة التحولات التي أدخلتها البرمجيات على عملية الإبداع من حيث تصميمها للنص في فضاء هارج عن المؤلف ففضاء الشاشة والوجود السبراني سيؤثر حتما على طبيعة القارئ ومقروئية النص وظواهر تعدد المؤلفين إذ نجد التقني يتشارك مع المبدع في إخراج النص ووجوده في البعد السبراني إذ أصبح للخيال العلمي أثر كبير في توجيه الصورة الإبداعية .

البعد الرقمي والتفاعلي أوجد حالة تشارك بين القارئ والمبدع (تفاعل) في العمل على النص الواحد مما يدعوا بل يوجب إعادة صياغة مفاهيم العلاقات في ثنائية: "المؤلف- والمتلقي"، فقد تدعونا هذه الثنائية التفاعلية للبحث يوما عن هوية النص بالنسبة لمبدعه او قارئه (وقد بدأ فعلا التساؤل عن هوية النص الرقمي من حيث علاقاته المتداخلة بين طرفيه) حيث لا نجد سوى خطابات يشترك فيها الجميع كما قد يختلف حولها الجميع.

1- التفاعلية شعرية مغايرة :

التفاعل جوهر الأدب الرقمي وبدونه قد يفقد ميزته الفاصلة، كما أن التفاعل نشاط تشاركي بين أطراف المبدع والقارئ يتأسس في فضاء مفتوح على العام والخاص فمن الطبيعي أن نجد نوعياته العلمية ومشهدياته تختلف باختلاف مستويات المتدخلين ، كما انه في من منظور التركيز والفاعلية يرتبط بانطباعات لحظية آنية ناتجة عن الاجتهادات النقدية المتسارعة نظرا لتنوع المتفاعلين بين مختص ومجرد عابر في فضاء وشلالات التعليقات التي تختلف بيئاتها وأنساقها وخلفياتها. غير أنها تُعتبر في حقيقتها قراءات انطباعية تفتقد التحليل

المنهجي، ولكونها تخضع لإجراءات تطبيقية تستند لمعايير معرفية محدودة، يبررها طبيعتها المتسارعة والانفعالية بصرف النظر عن صاحبها أو عن تخصصه أو خلفياته.

فتلك التعليقات التفاعلية قد صدرت في لحظة إعجاب أولية وهي لحظة المشاهدة التي غالبا ما يتلقاها القارئ بانطباع لحظي مباشر دون إمعان في أعماقها أو تدبر لبنيتها. فالعملية التفاعلية هنا تُسهم في إعطائنا تصورا أوليا عن انتشار مقروئية النص، حيث يصبح المؤشر التفاعلي عبارة عن عمل احصائي يبين حجم المقروئية لا مستواها من خلال تتبع مشاركات المتفاعلين مع النص وبطبيعة الحال فإن اهم مدخل للتفاعلية هو الصورة البصرية التي تستجلب القارئ وتستحضر لمتابعة أو استنطاق النص في المواقع التواصلية العامة أو المدونات الشخصية و هنا نكون بصدد قراءة التأثير الاجتماعي أو ما يعرف بصناعة المؤثر الاجتماعي والتي كثيرا ما تبتعد عن النظريات النقدية في حد ذاتها.

هذا المستوى التفاعلي له ميزاته الجمالية التي يمكنها أن تحقق فعل قراءة أفقي وهو ما يمكن تسميته: "جمالية أو شعرية الانتشار وهي عملية مصاحبة لمتابعة نسبة المقروئية ومستويات القراءة والمجموعات المتابعة والتي تعكس في النهاية درجة الاهتمام بالنص ومتابعته، كما انها عملية يمكن أن نشهها بالمنظومة الإعلامية التي تصاحب الإشهار لمؤلف أو ابداع ما تحضيرا لإطلاق عملية بيع وما يتبعها من مراحل كالبيع بالتوقيع ونحوه، أو توجه بعض المؤسسات الثقافية إلى صناعة أنماط إبداعية وثقافية بوساطة استغلال الصورة الرقمية، ولأجل تحقيق أهداف اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية أو سياسية باستغلال التفاعلية لهدف التأثير في السلوك الاستهلاكي لتسويق الابداع (الأنواع الأدبية) شأنها في ذلك شأن السينما والمنصات الإعلامية التي أصبحت في هذه الحالة منصات للتواصل المباشر بين المبدع والمتلقي لأنها تحقق بالتفاعل نوعا خاصا من سحر القراءة وعذوبة المشاركة مهما كان الفعل بسيطا، جوهريا أو ثانويا.

ولا يمكننا أن ننفي صفة الإبداع التفاعلي (في ثنائية المبدع-المتلقي) بصرف النظر عن غاياته وقصدياته، فكثير من المبدعين والشعراء والروائيين والمسرحيين إضافة إلى كثير من أشكال الإبداع في الثقافة الشعبية لم تكن لنصل إليها لولا مواقع التواصل والروابط التفاعلية، حيث تظل النصوص متاحة ومفتوحة على القراءة المتجددة بفضل ما يُضيفه القراء على اختلاف مستوياتهم وآراءهم من تعليقات وشروح ومواقف أو آراء، وبذلك - في كينونتها الرقمية- تتجاوز الحدود الفاصلة بين فعلي القراءة والإبداع والنقد. بل إن العملية التفاعلية تتجه إلى إغراء القارئ بالمشاركة وتجريب فعل الابداع والتوجه بإيجابية نحو التفاعل مع النص، كما أن أثر انفتاح النص على مثل هذه التجارب يدعو إلى مراجعة القيم الجمالية والمعايير النقدية، حيث أصبحت مراجعة المؤشرات ضرورة ملحة، بسبب دخول قيم جديدة ابتدعها الحقل الرقمي ومن أهمها الخلفيات البصرية ودمج الاجناس في سلسلة تجريب لا تكاد تنتهي حتى تُستأنف.

ولعله من أهم آثار الانتشار كجمالية في الابداع والتلقي عودة بعض الأنواع الأدبية وخروجها من ظل الإهمال إلى مساحات الشاشات بعد ان طالها التهميش والحياة في الظل. وعلى سبيل المثال لا نكاد نجد للشعر الشعبي مثلا وجودا واهتماما في الدراسات الأدبية التقليدية والحديثة لكن وجود الفضاء السيبراني أعاده إلى المشاهدة والقراءة والاستماع ويمكن أن نضيف أمثلة كثيرة. ولذلك يُمكن اعتبارها من أشكال التفاعل مادام يساهم في انتشار النص الرقمي وتوسع مقروئته ومن الطبيعي أن يُعدَّ -على بساطته أو ببلوغه مستوى من مستويات الرقي

في الابداع - نصا له أهميته في عملية القراءة التفاعلية . ولا ينبغي للمؤسسة النقدية والأدبية أن تُهمل هذا الجانب من شعرية الانتشار لأن الصورة البصرية وبقية المؤثرات خارج لغوية والمصاحبة للنص كخلفية أو كشرح أو كإضافة جمالية ، كان لها الأثر الفعال في نمو مستويات المشاهدة أو الاستماع او القراءة (من أشهر ذلك استغلال نصوص درويش رقميا):⁽¹⁾



تجتمع في "قصيدة الفيديو" تركيبة جمالية تجريبية جمعت بين القاء الشاعر (صوت شعري خارج النص) وخلفية مشاهد الفيديو بتنوعات من التشكيل البصري الضوئي التي تصبح شبيهة بالتعليق التفسيري إضافة الى الموسيقى التي تسير وترافق التموجات النفسية المصاحبة للنص (وكأنها في هذه الحالة ترجمان لنفسية المبدع والمتلقي معا) وهو نمط إبداعي رقمي جمع بين التكنولوجيا والورقية على خلفية الفضاء السبراني، مثل هذه الصورة تحمل تشكيلا جماليا خاصا تتجاوز اللغة والمؤثرات الخطابية اللغوية بابتكار مؤشرات إضافية تعتمد على التركيب مركزه الفيديو والبصريات المرتبطة به. هذه الجمالية التفاعلية تكتسب أهميتها في مواقع التواصل على اختلاف أنواعها، وقد تتميز -ربما- عن المواقع الشخصية التي يصنعها كثير من المبدعين والمثقفين لأجل الترويج ونشر أعمالهم الإبداعية كبديل عن ما يعانيه المبدع من صعوبات النشر الورقية والتي هي من بين أسباب التحول الى انتاج النصوص التفاعلية....وهنا تجربنا النظرية النقدية على ضرورة ضبط وتحديد مثل هذا التوجه فهل هو إعادة إنتاج للنص أم هو إبداع فني ؟ .

ولذلك فإن جمالية الانتشار تفرض على القارئ طرح تساؤل إشكالي يؤسس لمفهوم المغايرة "وهو الحالة التي تصبح عليها الممارسة الإبداعية عندما تعتمد دعامة الرقمي وما يثيره من انتقال سياقي وبنوي ولغوي وأسلوبى داخل الظاهرة الأدبية بمختلف اجناسها دون ان ننسى أن النوع او الجنس الأدبي تتعرض هي الأخرى لتحديث وتغيير جوهري قد يؤدي إلى اندثار المفهوم النوعي القديم . لهذا فأول متغير يصادفنا عند تأمل التجربة الرقمي هو تزاوج الابداع الادبي بمجموعة وسائط تكنولوجية وإلكترونية بها يتشكل النص الأدبي وينفتح على زمنه التكويني بل تتحول بدورها إلى عنصر وظيفي تبدأ مجرد وسائط في إطار الخدمات التي تقدمها التكنولوجيا الحديثة لكل مستخدم لها ولكنها تصبح مكونا وظيفيا بالنسبة لمنتج النص الأدبي نظرا لكونها تصنع بنائية النص ومن ثمة تحدد شكله ، وشكل قراءته ولكون النص يتحول بموجها إلى حالة مغايرة عن النص كما يريد المبدع أن ينتجه"⁽²⁾.

2- المغامرة في النظم التفاعلية

إن مفهوم المغامرة أو كما اتفقت عليه كثير من المنظومات الاصطلاحية بالتجريب يولج العملية الإبداعية ببعدها الإنساني إلى عالم وكون مختلف تماما تصبح فيه الرقمنة والتقنيات التكنولوجية جزءا من بنيته التكوينية فلا يخرج ولا يختلف عن عملية الابداع باعتبار تلك التقنيات الوسائط أصبحت من مكونات وبنية النص .

يبدو اننا امام ثقافة تواصل رقمية ستساهم في تغيير أو تعديل كل شيء حولنا من فن وثقافة وسلوكات وانطباعات ونحوها مما يدخل في العلاقات الإنسانية والفنية . وما دامت المعرفة التكنولوجية والرقمية أصبحت أكثر انتشارا وامتلاكا فإن ذلك سيؤدي حتما إلى تعديل كل الخلفيات الجمالية في الإبداع الفني ، ومع مرور الزمن سيصبح ما بين أيدينا من إبداع بأجناسه المختلفة في حكم الكلاسيكيات ومن المحتمل أن يتجاوز الابداع الرقمي الأنواع الحالية وأشكالها المختلفة إلى جمالية جديدة مغامرة تماما ستحتاج إلى منظومة نقدية ومعرفية مرافقة دون ان ننسى ان كل العملية رغم ما وصلت اليه في مرحلة اثبات الوجود هي مرحلة تجريبية يخوض فيها الجميع لدرجة ان الكثير من المبدعين يسعون إلى تطوير قدراته الرقمية والتقنية لاجل مواجهة تحديات العالم الرقمي ولنا في محمد سناجلة (العراق) ومشتاق معن (العراق) وحمزة قريرة (الجزائر) وغيرهم كثير احسن مثال .

البعد الرقمي والتفاعلي أوجد حالة تشارك بين القارئ والمبدع (تفاعل) في العمل على النص الواحد مما يدعوا بل يوجب إعادة صياغة مفاهيم العلاقات في ثنائية : "المؤلف- والمتلقي"، فقد تدعونا هذه الثنائية التفاعلية للبحث يوما عن هوية النص بالنسبة لمبدعه او قارئه (وقد بدأ فعلا التساؤل عن هوية النص الرقمي من حيث علاقاته المتداخلة بين طرفيه) حيث لا نجد سوى خطابات يشترك فيها الجميع كما قد يختلف حولها الجميع.

كما أن التحولات لا تنتهي فلا نكاد نفرغ من شكل أو تطور ما حتى نُفاجأ بجديد حضر من هنا أو هناك تجب متابعتها، وعلى قدر ما تتيحه التفاعلية وتكنولوجياتها من حرية إبداعية وجماليات تتجاوز السائد فإنها تقحم القارئ والمبدع على حد السواء في فوضى تجريب زمتاهات لا تنتهي لأن سرعة تطور الظاهرة الرقمية من حيث برمجياتها تفرض على الظاهرة الأدبية سرعة موازية لأجل مواكبة المرحلة الرقمية في عملية الفبداع وهو يجعل النظرية النقدية في مناهجها المختلفة في حالة ارباك لأن آليات النقد هي الأخرى يجب أن تتماهى وتواكب تجارب الادب الرقمي او التفاعلي .

3- جمالية الثبات والحركية

وجود النص في فضاء متحرك قابل للتعديل والتحيين على مستوى القارئ والبدع على حد سواء اكتسبة ثنائية جديدة تقارب بين الثبات والحركية في زمان ومكان جديدين ولا نقصد بها هنا التجريب وإنما يتحول من الفضاء الورقي إلى الفضاء الرقمي ومن الزمن الخطي إلى اللاخطية، فهذه التحولات من الثبات (الورقية) وغيرها من قواعد الكتابة الثابتة- بمجرد انتقاله إلى مستوى رقمي تفاعلي (متغير) يتطلب بدوره حضورا نقديا جديدا نظري وتطبيقي لأن تغيير العملية من حالة وجود قديمة الى حالة وجود جديدة يفرض بالضرورة – وعلى الأقل

في مرحلة التكوّن الجديد - تعديلا في المنظومة والآليات النقدية وأشكال الكتابة والقراءة، وذلك ما سيمنح النص والقراءة معا وجودا جديدا مغايرا يستجيب لطبيعة تأثير الرقمنة ووسائط التكنولوجيا، لأن ما تضيفه من مؤثرات ومؤشرات بنيوية شكلية وخارج لغوية (الصوت والصورة والحركة والانفتاح على التجريب). سيساهم في نشره و في زيادة مقروئيته ومن ثم اهتمام المجتمع النقدي به بما تيسره التكنولوجيا للمبدع من أفكار إبداعية على مستوى استغلال خلفيات النص المرافقة له (الصور البصرية .الحركة .الموسيقى . التركيب).

كما أن انتشار الإبداع على الشبكة يتيح له التحرر من الدوائر الضاغطة ومجتمعات التوجيه الإعلامي التي انحصرت مهمتها (أحيانا) في صناعة المحتوى أو صناعة الشاعر والروائي بتسليط الضوء عليه في المشاهد والحصص التلفزيونية او الجرائد بينما يُهمّش إبداع ومبدعون بتغييهم عن المنصات الإعلامية سواء أكان ذلك عمدا بغرض الإقصاء أو إهمالا. ومن هنا سيتحول الوجود على المنصات التفاعلية إلى الاتكاء على قدرات المبدعين على فرض وجودهم وإبداعهم وسرعتهم في صناعة المؤثر على مختلف المنصات التواصلية. وهناك الكثير من الأمثلة والنماذج التي ليست موضوع مناقشتنا هنا . وما نريد لفت الاهتمام اليه هنا هو أن رفع درجة المقروئية ونسب المشاهدة والمتابعين أصبح قيمة جمالية في حد ذاته إضافة إلى الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية.

جماليات التفاعل التي أنتجتها وسائط التواصل الاجتماعي وفرت للمبدع حيزا واسعا وحرا يمكنه من صناع أفعال قراءة تفاعلية لمحتواه الإبداعي وتقديمه للجمهور بعدما أغلقت مؤسسات الاعلام المختلفة في وجهه أبواب الانفتاح على الجمهور وهناك أمثلة كثيرة لمبدعين (شعراء وروائيين وحتى نقادا) تمكنوا باستغلال منصات "اليوتيوب والانستغرام..." من الانفتاح على جمهور كبير من القراء . والمؤكد أن افتقارهم لمؤسسات إعلامية وتسويقية ورسمية إضافة إلى تكاليف النشر قد عوضوه بالحضور عبر وسائل التواصل الاجتماعي وعبره تمكنوا من حجز مكان للتفاعل مع ابداعهم وطرح أفكارهم وإبداعاتهم للقراءة والنقد والمشاهدة، والمؤكد أن هذه المشاهدة او التفاعلية ستفتح النص على تحقيق قراءة نقدية تتسم بالتفاعلية وانفتاحه على حركة تواصلية حاضرة للجمهور وفي متناوله كل حين وذلك ما سينعكس حتما على تحقيق وجود فعلي للنص بما أنه لا يحقق ذلك الوجود بمعزل عن القارئ الذي يفترض فيه القدر على تحقيق تفاعلية تستجيب للشروط النقدية والتأويلية.

4- مستويات التفاعلية

ما يؤثر هنا هو الحرية الواسعة التي توفرت لوجود النص على الشبكة حينما يقرر المبدع نشره على صفحته عبر وسائل التواصل الاجتماعي أو من خلال النوادي الأدبية والثقافية التي يوفرها الوسيط العنكبوتي (شبكة النت) أو على المواقع الشخصية، حيث أمكنه التواجد والإعلان عن نفسه متى شاء وحيثما شاء وباللغة التي يشاء وكذلك الكيفية التي يشاء ضمن حدود التجريب الفني التي وفرها لنصه ، وكل قارئ يمتلك صفحة على وسائل التواصل الاجتماعي سيتحقق بنفسه من إمكانية التفاعل مع المبدعين ونصوصهم دون وسيط وبعيدا عن أي تلميع من المؤسسات الإعلامية التي فقدت هيمنتها. إذ قارب الإبداع التفاعلي شكله التعاوني من خلال "الذي

يتم دمج مواهب مجموعة من الفنانين والمبرمجين بالإضافة إلى المؤلف الحقيقي وهذا يتضمن العمل الناتج صوراً وتصميمات وتسجيلات صوتية وبعض البرمجيات⁽³⁾

عملية الإبداع في الأدب الرقمي تتميز بخاصية أساسية ألا وهي سرعة اندماجها في الوسائط المختلفة بحيث يسهل عليها التأقلم في أي وسط ثقافي بفضل انفتاح نصها تفاعلياً على قراءات ممتدة في المكان والزمان لأن الوسيط الرقمي مكن لها وجوداً خاصاً وبنية تفاعلية تتيح الوصول إليها حيث يمكن للمبدع أن ينتج نصه ويلقي به في أحد المواقع على شبكة الانترنت تاركا مساحات فارغة للقراء/المستخدمين للتفاعل مع نصه الإبداعي في أي مكان أو زمان عن طريق الإضافة أو التعديل⁽⁴⁾

وجود المبدع الرقمي على (اليوتيوب ومختلف المنصات) أتاح التفاعل مع نصه بغض النظر عن طبيعة التفاعل ومصدره - قارئ عادي أو محترف أو هاو أو ناقد متخصص والنماذج متوفرة وبلا حدود - يدعو مجموع القراء إلى إضافة تعليقاتهم أو تصوراتهم أو قراءاتهم التي تتراكم عبر أفق الفضاء الرقمي ، ومن الأمثلة ما نلاحظه على نصوص الشاعرة الجزائرية "غنية سليبي" على صفحتها في الفيسبوك وما يرافق الوجود التفاعلي للنص من متابعين أو قراء متفاعلين وحتى المشاهدين⁽⁵⁾



ما يهمنا هنا هو مجموعة المتغيرات الجمالية التي حدثت على نص الشاعرة عندما اتجهت إلى تشكيل نصوصها عبر هذه المنصة التفاعلية ، فبنية النص الجمالية تغيرت واختلفت كثيراً عما كانت عليه في وجودها الورقي، حيث يتبدل الوسيط ومعه تتبدل طرق وكيفيات التفاعل مع النص . فاللوحة الشعرية السابقة قدمت النص المكتوب في صورة ثابتة ممزوجة بمشاهد غير لغوية أو كما تسميها نظريات تحليل الخطاب "مؤشرات خارج لغوية" تتحول في النص إلى عتبات وعلامات أيقونية لا يمكن لأية قراءة تجاوزها أو إغفالها مع ربطها بالعلامات اللغوية حيث أصبحت تشكل جزء من النص وبنية من بنيانه التعبيرية ونسقا من أنساقه الثقافية.

من المنطقي أن يتساءل القارئ عن وظيفة هذه الصور وعلاقاتها بالمساحات البصرية المختلفة في فضاء الشاشة، فهل أرادت الشاعرة بنية إضافية دالة لنصها (والحال نفسه لكل نص مشابه)؟، أم أصبحت (المؤشرات الخارج لغوية) والمندمجة في بنية النص وسياقه، من الأساسيات المتممة للعملية الإبداعية وبذلك ستصبح جمالية إبداعية جديدة قائمة على شعرية مغايرة تتجاوز التركيب اللغوي المكتوب. فكل عنصر من العناصر المؤشر عليها بالأزرق (في اللوحة السابقة) على علاقة ترابطية بالنص ويمكن ترتيبها حسب اللوحة في مستويات وكل مستوى له أجزاء رئيسة وتفرعات جزئية أكثر دقة نصنفها في أربعة مستويات:

المستوى الأول

- اللغة وتشمل نص القصيدة والعنوان وبقية التراكيب المتوفرة التي تشير الى الهوية اللغوية للنص. ولها أنساقها وعلاماتها الخاصة .

- الألوان وهي الألوان الموظفة والحاضرة سواء أكانت على مستوى لون الخط أو الخلفية البصرية وهي بدورها متدرجة ومركبة في نسق خاص يدل على فعل كلامي يوجه القارئ إلى أبعاده المختلفة .

- الصور الثابتة وهي الصورة الرامزة (صورة العين الدامعة) وحضور (صورة الشاعرة) في حد ذاتها. وأيقونات الإعجاب والمشاركة وهذه كلها يمكن عدّها مؤشرات تشارك في قراءة النص وتلقيه .

المستوى الثاني :

هو مستوى خارج النص وغير متوقع ويمكن ان نسميه سياق التفاعل باعتباره بنية عميقة ونسق ثقافي يشمل الفضاء الذي يحيط بقراءة النص ، لأنه يصدر عن تفاعل ثلاثي الابعاد أقطابه القارئ والنص والمبدع. وهو مستوى التعليقات المرافقة للنص والحوار الذي يدور يثيره المتابعون (القراء الافتراضيون) والمبدع والذين شاركوا او تشاركوا تعليقات او نصوص موازية إما بالإعجاب أو بإبداء الرأي او بإضافة تعليقات شكر أو نقد أو تحليل وغيرها من أشكال التفاعل وهو ما يمكن أن نعتره حوارا نقديا متعدد المستويات والزوايا، ويتسم بالنسبية وعدم الثبات وبدرجة أكثر بالانطباعية حيث أن تلك التعليقات والانطباعات تتنوع وتبدل من حيث الكم والكيف إذ أنها تكون في الغالب تزامنية ورد فعل تلقائي او عاطفي ، كما تتيح للقارئ التفاعلي التصرف بالزيادة والحذف والتكرار... ومع مرور الزمن الذي يتواجد فيه النص على الشبكة تتكسد المقولات والانطباعات. ويمكن أن يتغير المحتوى التفاعلي بتغير عدد المشاهدين أو عدد المتابعين أو المشاركات أو أصحاب التعليقات بمستوياتها المختلفة (وصورة التعليقات التي أوردناه مجرد نموذج ليس مقصودا في حد ذاته إلا باعتباره عينة تفاعلية ⁽⁶⁾



من خلال المستويات التفاعلية السابقة نلاحظ أن النص يخضع لسلسلة من التغيرات تميزه بسرعة التحول من حيث اعتبار القراء من حالة إلى أخرى مختلفة تفتقد للضوابط المعرفية والقواعد الإجرائية وفي هذه الحالة يجب ان نتذكر بان القارئ الافتراضي لا تحكمه ضوابط او معايير وإنما المطلوب منه القدرة على التحليل والقراءة والإقناع حتى ولو كان تفاعله بالتعبير عن الإعجاب "مما يجعلنا نفترض أنها سيرورة تنطوي على التحول من حالة إلى أخرى ومن موضع اعتباري إلى آخر فهي سيرورة وصيرورة في الآن نفسه، والسيرورة بما هي تطور وتغير تنشط آلية التبني والتشكل اللانهائي من خلال نشاط الإبحار ⁽⁷⁾

اما المستوى الثالث

فيلخص ممارسة القراءة التفاعلية ويختصرها وهي لا تقتصر على قارئ بعينه أو بمواصفات محدّدة وإنما - كما توضحه الصورة - مجموعة قراءات تتسم بالفورية والانطباعية بعيدا عن المبدع وخلفيته الثقافية والعلمية. وبغض النظر عن صاحب التعليق فالتعليقات من شأنها أن تختلق عملية قراءة تفاعلية لها خصوصيتها وسياقها وطبيعتها الثقافية ، فالجمالية هنا تتحدد بمدى توسع التعليقات والآراء وترتبط بفعل القراءة الفورية والانطباع الآني.

ومن جهة أخرى يصبح للشاشة في حد ذاتها تأثير على القارئ، باعتبارها الفضاء الرقمي الذي تتم في مستواه عملية التلقي والقراءة ، ولذلك سوف يكون للشاشة أهمية في قياس جمالية النص التفاعلي باعتبارها مساحة تتيح ممارسة مجموعة من العمليات التأويلية والنقدية بدء من الإعجاب إلى التعليق إلى النقد المحترف أو الانطباع العام ، فهي أشبه بركحة العرض المسرحي يتفاعل معها الجمهور على المباشر ودون وسيط أو شروط مسبقة .

فالنص التفاعلي/ الرقمي يخضع لمجموعة من التحولات على مستوى بنيته منذ ولادته وفي سياقه المكاني الجديد وفي حاضنته التفاعلية. فنحن أمام مبدع جديد ينتج نصه وينشره عبر وسيط له ضروراته وقدراته الابتكارية ومعايير التقنية والعلمية إضافة إلى الإبداعية ضمن سياق متكامل في نظام من العلاقات المتداخلة جماليا وبمواصفات ترميزية وتكوينية وتعبيرية " وهذا شيء جديد في نظرية الأدب التي لم تكن تنظر إلى المبدع في إطار تكوينه العلمي بقدر ما كانت تقف عند نضج متخيله وإبداعية نصه. إنه يحضر باعتباره المؤلف التخيلي الرقمي هو الذي يؤلف بين مجموعة من المواد (اللغة ، الصوت، الصورة، الوثائق، لغة البرامج المعلوماتية....) لينتج حالة نصية تخيلية غير خطية لا يتحقق نوعها وجنسها التعبيري إلا مع القارئ/القراءات. يضع نظاما يبدو منسجما مع عملية تنشيط الرابط إلى مجموعة من العلامات الترميزية والتي تشتغل على علاقة تقاطعية مع القارئ/القراءات على تدبير المعنى ثم إنتاج الدلالات⁽⁸⁾ .

كما أن تلك الإضافات الرقمية لا تقتصر على دورها الجمالي (الشعري والتخييلي) بل لم تعد بنية نصية اعتبارية وظيفتها الديكور أو إبهار القارئ المتلقي، لكنها مؤشرات وموجهات نصية من شأنها المساهمة في توجيه الخطاب وإنتاج مقصدياته فالنص في هذه الحالة تنضاف له قوة التأثير وصناعة المعنى في سياقه ووسطه الجديد.

تحويل النص إلى الوسيط الرقمي يخضعه إلى مجموعة مؤثرات سمعية وبصرية ،وهي مؤثرات من شأنها أن تحدث فيه تغييرات في مستواه البنيوي والهيكلية كما أنه سياقيا ينتقل إلى الفضاء الشبكي ممثلا في فضاء الشاشة والشبكات الرقمية المختلفة ،ومن خلال دمج النص في مجموع الوسائط الرقمية فإن ذلك سوف يساهم في تعديل قيمه الجمالية بوساطة صناعة لغة وخيال رقمي له جمالياته الخاصة بما تكتسبه من مؤثرات مصاحبة صوت صورة موسيقى تركيب ..الخ له مرونة كافية على الاندماج في النص. وهنا نكون بصدد انتاج معقد

من التركيب والإضافات الخارج لغوية ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر ربط النص بتفريعات أخرى وروابط قد تحيل الى نصوص مشابهة أو شروح لغوية ويكون التحويل ضمن حدود لغة النص.

إننا هنا بصدد عملية تخيلية تتربط عناصرها وتتوحد من خلال نمذجة المسارات الرقمية ، إنه نوع من الخيال الذي يؤسسه الابداع تتزاج فيها قدرات العقل البشري وقدرات الذكاء الاصطناعي بما يتيح البرمجيات من تعديل وإضافة ودمج وهو ما يتطلب قدرة خاصة يمكنها تتبع هذه الشبكة المتداخلة وقراءتها وتفكيك بنيتها"لذا ينبغي القبض على الآليات التي يركز عليها التخيل المترابط ولنلمس الطرائق التي تنبني بها نصوصه اللفظية والأيقونية المنخرطة في كلّ يضمها مانحا غياها انسجاما وتألقا يولد جمالية هاصة قائمة على جمالية الغياب والمحو ، التعدد والاختلاف"⁽⁹⁾

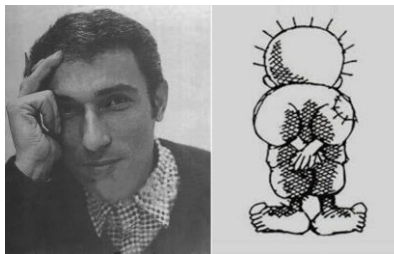
5- التخيل وتنوع العلامات

مجال التخيل في المستويات السابقة تندمج فيه كل العناصر اللغوية والخارج اللغوية كما تتداخل في انتاجه مؤثرات القراءة مستويات التعدد الصوتي والابداعي، فقد يضيف له صاحبه (المبدع) أو المتفاعل معه (القارئ) حسب المتاح، بنية لغوية جديدة أو خلفية بصرية ثانوية، بحيث تتنوع العلامات المنسجمة وتتداخل العناصر المنتجة للخيال بين اللغوي وخارج لغوي لتشكل في تبلورها النهائي مدخلا لصورة مركبة بتصوص موازية فتشكل خطاب الصورة بمؤشرات غير لغوية.

كما يمكن لصاحب النص (المبدع) أن يستغل ما يتيحها الفضاء الرقمي لإضافة عناصر خارج لغوية لا متناهية شرطها الوحيد أن تندمج وتندمج مع خطاب النص وأنساقه كأن يتضمن مثلا الصورة (ثابتة ومتحركة) أو اللون أو التلاعب ببنية عرض النص تقديما وتأخيرا وفي اتجاهات مختلفة وبكيفية متشابكة أثناء عرضه على الشاشة فتتحرك كل عناصره و مكوناته في فضاء افتراضي جديد وبيئة بصرية جديدة تحكمها عناصر اللون والتركيب والحركة والصوت، وهذه المرحلة (البصرية) وطرق العرض المختلفة من شأنها ان تفاعىء القارئ وتُدْهشه وتكسر أفق التلقي لديه باعتبارها مؤثرات جمالية ذات بنية بصرية خاصة نهيمن على النص ومن نماذج هذا الشكل تركيب النصوص الشعرية والسردية على مساحة بصرية متحركة بحيث تصبح واقعية رقمية بامتياز . فالمشهد البصري للنص يلوح في فضاء بصري مطرز بالروابط والايقونات وإمكان الانتقال ومن نماذج ذلك " لا متناهية الجدار الناري لمشتاق عباس معن⁽¹⁰⁾



فبالإضافة إلى حرية حركة النص الرقمي فإنه يتيح للمبدع كما هائلا من العلامات التي يمكن استغلالها في رسم المتخيل وهندسة الصورة وفي نموذج الجدار الناري فبالإضافة إلى النص الإبداعي في كنه اللغوي فقد استعان الشاعر كما غيره بإضافة وتشكيل عدة عناصر لغوية وخارج لغوية، فعبارة "الجدار الناري" لم تكن هارج هذا السياق الفني من ضمن لغة القصيدة بل هي مصطلح رقمي يتعلق بحماية المواقع الالكترونية (Par feu) وقد تمكن الشاعر من جعلها عتبة نصية موازية يمكن للقارئ متابعة أبعادها مع بقية العلامات/ كما أن الرسم الكاريكاتوري يدهل في حالة تناسية فنية مع شخصية "حنظلة الكاريكاتورية" التي ابتكرها الرسام الكاريكاتوري الفلسطيني " ناجي العلي والتي جسد من خلالها كل موضوعاته الفلسطينية والذاتية، وحنظلة الكاريكاتور شخصية لا تكبر أبدا لأنها ترتبط بقضية مازالت تحت الاحتلال ولذلك هي مقيدة وصغيرة مازالت تحت الوصاية والأسر. أو ضغط العالم الخارج شخصية حنظلة الكاريكاتورية ومبدعها .



مصدر الصورة (11)

أو تجربة محمد سناجلة (12):



في أغلب النماذج الرقمية يتفاعل الخيال الإبداعي (النص الرقمي) مع كائنات بصرية واطياف لونية خارج لغوية لكنها تندمج مع اللغة وتتحد في مستوياتها المختلفة لتصبح جزء من تركيب الجملة وكائنا أساسيا في بنية الصورة مما يدعو القارئ والمبدع على حد سواء الى إعادة النظر في المفاهيم الجمالية المرتبطة بالنص، حيث ان القراءة تتطلب شبكة معرفة تجمع بين آليات المناهج النقدية ومفاتيح المبتكرات الرقمية باعتبارها جزء من النص لا يمكن أن يكون خارج القراءة النقدية التفاعلية "فعندما يصبح تفاعليا /رقميا - وهذه الظاهرة تعود الى ثمانينيات القرن الماضي حيث "شهد الأدب سنة 1986 مع "ربورت كندل " ثورة رقمية عظيمة قلبت موازين عالم الأدب إذ اسهم روبرت كندل بإدخال النص الادبي إلى العالم المعلوماتي مستعيرا آلياته ووسائطه لإخراج النصوص بطريقة مغايرة وهذا من خلا قصيدته " In The garden of recounting " (13).

فهو في وجوده ذاك لم يعد وسيطا محايدا كما أنه لم يعد مجرد وسيط جامد مهمته النشر والتوزيع ، بل أصبح مشاركا فعلا في إنتاج وإبداع النص بما يضيفه من تركيبات جمالية كالموسيقى والرسم والتصميم والتركيب والاخراج وغيرها من العناصر التي أصبحت مظهرا بلاغيا وتخيليا جديدا لكنه رقمي بحث أي من إنتاج الآلة والصورة البصرية.(تم هنا) . ففي المشهد السابق (صورة شاشة محمد سناجلة) نلاحظ ان النص أصبح مشهدا بصريا يوزع الصور والأضواء ويعيد تركيبها بحسب الرسالة التي يريد لها وكل التفاصيل اللغوية والخارج لغوية تعتمد على المنظور البصري الذي أصبح أساسيا في إبداع الصورة والذي يفرض قراءة خاصة بآليات منهجية جديدة تتوافق مع طبيعة التكوين البنيوي للصورة . مما يفرض متابعة العناصر البصرية باعتبارها موضوعا وعتبة أو نصا موازيا

خاتمة؛

وضعية تطور الادب التفاعلي بصفة عامة تدعونا إلى ضرورة الانتباه الى عملية التحول المتسارع وبالتالي التركيز على هذا النوع الذي ارتبط بالتكنولوجيا الرقمية ، ليس من حيث الاستفادة من التقنية في حد ذاتها ولكن لأن هذا الارتباط قد أدخل الانسان في مرحلة إبداعية تجريبية سوف تؤثر حتما على النظرية النقدية والأدبية من حيث الآليات والتصورات . وكما قال ميشال فوكو "إنه انعطاف في معرفتنا وسيختفي الإنسان حتما عندما تتخذ المعرفة شكلا آخر" ⁽¹⁴⁾ في مجال موضوعنا فإن الشكل الآخر سيتعلق حتما بالإبداع الفني بمختلف أجناسه فأما هذا التجريب المتزايد سوف يدفعنا إلى توقع اختفاء المبدع الانسان لتخلفه التكنولوجيا والبرمجيات وقد نفاجأ في المنظور القريب ببرنامج يبدع الرواية والقصيدة والمسرحية والصورة وغيرها من الفنون الجمالية ويبدو أن برنامج CHAGPT بأنواعه المختلفة أول الخطوات لتحقيق مثل هذه التجربة .

مؤشرات الجمالية الرقمية لم تعد رهينة العقل فعندما تتشارك التكنولوجيا عملية الإبداع وتؤثر في تشكيل النص وجمالياته لا بد حينها أن نراجع الآليات النقدية والمناهج تنظيرا وتطبيقا وبحث مستوياتها وآثارها وفق سياق وجودها الجديد لأن الخلفية المعرفية لم تعد تابعة للنظرية الفلسفية بل ارتبط الإبداع خاصة في مجال التخيل بالخيال العلمي . مما يُبقي التساؤل مفتوحا حول مستقبل الأجناس الأدبية وربما النظرية الأدبية بصورة عامة

الهوامش والإحالات:

1- https://www.youtube.com/watch?v=gc9CT0_24

2- د. زهور كرام . 2009 . الادب الرقمي أسئلة ثقافية تأملات مفاهيمية. رؤية للنشر والتوزيع. القاهرة. ط1-2009 ص09

3- فاطمة البريكي .مدخل إلى الأدب التفاعلي.المركز الثقافي العربي.الرباط. المغرب ط1-2005 ص117

4 - حافظ محمد الشمري .الأدب الرقمي بين ضبابية العولمة وتداعيات المشهد الثقافي رؤية استشرافية. مركز الكتاب الأكاديمي.عمان.الأردن . ط1-2020. ص 41

5. الصفحة: الشاعرة غنية سليبي. رابط :

<https://www.facebook.com/photo?fbid=1480899289028261&set=a.115083762276494>

6 - صفحة الشاعرة غنية سليبي. رابط الصفحة

<https://www.facebook.com/photo?fbid=1480899289028261&set=a.115083762276494>

7- لبيبة خمار. النص المترابط في الكتابة الرقمية وآفاق التلقي. رؤية للنشر والتوزيع. القاهرة. ط1-2018. ص : 16

8 د. زهور كرام. الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية. رؤية للنشر والتوزيع. القاهرة. ط1-2009. ص: 34

9-لبيبة خمار النص المترابط في الكتابة الرقمية وآفاق التلقي. رؤية للنشر والتوزيع. القاهرة. ط1-2018. ص 26

موقع مشتاق معن على الرابط : 10 <https://dr-mushtaq.iq/My-poetry-works/Interactive-digital/index.html>

11- عبد الله فرج. حنظلة، كيف رسم ناجي العلي نفسه . موقع الجزيرة نت:

<https://www.aljazeera.net/arts/2021/7/22/%D9%81%D9%8A-%D8%B0%D9%83%D8%B1%D9%89-%D8%A7%D8%BA%D8%AA%D9%8A%D8%A7%D9%84-%D9%86%D8%A7%D8%AC%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%8A-%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%B9%D8%A7%D8%B4>

12- محمد سناجلة . موقع رواياته الرابط :

<https://dubai.sanajleh-shades.com/>

13 - إلهام شافعي-دليلة مكسح . الالتفات البصري في القصيدة التفاعلية. المدونة الشعرية تباريح رقمية لعباس مشتاق معن أنموذجا".مجلة الإشكالات في اللغة والأدب. جامعة تلمسان. الجزائر. عدد 02 مجلد:10. 2021. ص5 .
14 نقلا عن : د عمر زرقاوي. الكتابة الزرقاء.مدخل إلى الأدب التفاعلي . دائرة الثقافة والإعلام. ط 01. الشارقة ص :31.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- إلهام شافعي-دليلة مكسح . الالتفات البصري في القصيدة التفاعلية. المدونة الشعرية تباريح رقمية لعباس مشتاق معن أنموذجا".مجلة الإشكالات في اللغة والأدب. جامعة تلمسان. الجزائر. عدد 02 مجلد:10. 2021
- 2- لبيبة خمار النص المترابط في الكتابة الرقمية وآفاق التلقي. رؤية للنشر والتوزيع. القاهرة. ط1-2018
- 3- زهور كرام. الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية. رؤية للنشر والتوزيع. القاهرة. ط1-2009 .
- 4- حافظ محمد الشمري .الأدب الرقمي بين ضبابية العوامة وتداعيات المشهد الثقافي رؤية استشرافية. مركز الكتاب الأكاديمي.عمان.الأردن . ط1-2020
- 5- فاطمة البريكي.مدخل إلى الأدب التفاعلي.المركز الثقافي العربي.الرباط. المغرب ط1-2005
- 6- تغريد بنت احمد محمد كيري . إشراف : عبد الحميد بن سيف الحسامي . تلقي الادب التفاعلي في النقدي العربي المعاصر. رسالة ماجستير .قسم اللغة العربية وآدابها .جامعة الملك خالد .2017
- 7- د عمر زرقاوي. الكتابة الزرقاء.مدخل إلى الأدب التفاعلي . سلسلة كتاب الرافد عدد 56 .دائرة الثقافة والإعلام. الشارقة . أكتوبر 2013
- 8- محمد سناجلة . موقع رواياته الرابط:

<https://dubai.sanajleh-shades.com>

9- موقع الجزيرة نت:

<https://www.aljazeera.net/arts/2021/7/22/%D9%81%D9%8A-%D8%B0%D9%83%D8%B1%D9%89-%D8%A7%D8%BA%D8%AA%D9%8A%D8%A7%D9%84-%D9%86%D8%A7%D8%AC%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%8A-%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%B9%D8%A7%D8%B4>

10- صفحة الشاعرة غنية سليبي، رابط الصفحة :

<https://www.facebook.com/photo?fbid=1480899289028261&set=a.115083762276494>